أى هدف إنسانى × درجة ضرورته =
وضوح صورته فى الذهن × شدة التركيز =
طاقة تحقق الهدف فى الخارج .
عند غياب الظروف المعاكسة .

قانون الطاقة الانسانية

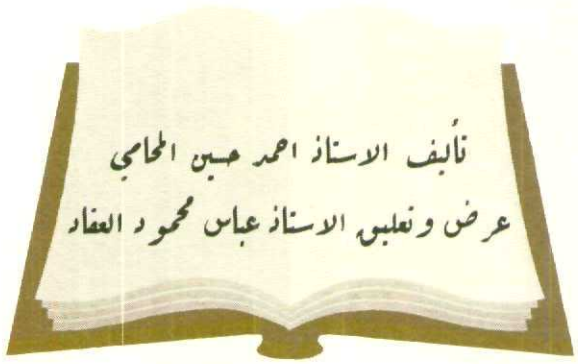

كتب الموسم في اصطلاح النقـــاد والناشرين هي كتب تتوافر لها في جميع الاحوال خاصتان : احداهما في الموضوع والأخرى في التأليف .

ويغلب في الخاصة الموضوعية ان يكون موضوع الكتاب محورا للبحث في مسألة انسانية كبرى ، تتناولها الافكار من وجهات نظر متعددة وعقائد مختلفة ، ولا ينقطع البحث فيها زمنا من الازمنة ، ولا سيما الازمنة التي توصف بأنها ازمنة استقبال ، اي ازمنة البحث عن قبلة واتجاه .

ويغلب على خاصة التأليف ان يكون للمؤلف طابعه الخاص في كل فكرة عامة يعرضها ، فلا تتماثل الكتب المتعددة في الموضوع بعينه اذا هي صدرت من اقلام شتى .

والكتاب الذي بين ايدينا من كتب الموسم بموضوعه وبتأليفه ، وهو كتاب « الطاقـــة الانسانية » لمؤلفه الاستاذ احمد حسين المحامي .

موضوعه هو تدبير طاقة النفس الانسانية بوسائل الارادة والمعرفة ، وطريقته تظهر للقارىء من كلمات قليلة تحت عنوانه كتبت على منوال المعادلات الرياضية . فكل هدف انساني بحسب درجة الضرورة ووضوح الصورة الذهنية ، مع شدة التركيز ، هو طاقة تتحقق في الخارج عند غياب الظروف المعاكسة .

ويدل وضع الطريقة بصيغة المعادلة الرياضية على ان الكتاب برنامج علم وعمل ، وان المؤلف يرسم به « هندسة » قابلة للتعليم والتطبيق ، ويعامل فيه « الطاقة النفسية » كما تعامل كل طاقة لها هندستها العملية ، وفي وسع من يتعلمها ان يستقل بتطبيقها ويصل بها الى نتيجتها .

واسع ظهور الطابع الخاص للمؤلف في كل رأي فاصل من آراء الكتاب يجري نظامه على المنهج الدراسي التعليمي ويصلح للاعتماد عليه في معهد الدراسة على يد كل معلم ولفائدة كل طالب ، لان آراءه الفاصلة التي يظهر فيها طابع المؤلف تترتب على تفسيراته الراجحة عنده بمقدار مرجحاتها في ميزانه ، ولا تتعرض لتغيير الوقائع او تغيير نتائجها عند من يخالفه ، اذا شاء ان يفصل بين الواقعة وتفسيراتها وان يستخلص منها غير خلاصتها التي بدا من المؤلف انه يميل اليها .

ومما يساعد على حرية القارىء في حالتي الموافقة والمخالفة ان المؤلف يعتمد على كثير من الوقائع والشواهد ولا يقيد احكامه في المسائل الحاسمة بواحدة منها تتوقف عليها ، فيجوز ان يختلف المؤرخون في تصحيح بعض هذه الوقائع على حسب اسانيدها ، ولكن النتيجة التي يربطها بها المؤلف لا تتوقف على صحتها ، لانها نتيجة تثبت بغيرها من الوقائع التي لا خلاف عليها .

مثال ذلك ان المؤلف يقرر ان الارادة تعمل عملها في تعويض الطاقة النفسية التي يفقدها الانسان بفقدان حاسة من حواسه او عضو من اعضائه ، ويضرب المثل لذلك بنبوغ الشاعر هوميروس من جراء فقدان بصره وحاجته الى التكسب بتلاوة شعره .

فمن الجائز ان يشك المؤرخ في عمى الشاعر هوميروس او في درجة هذا العمى او درجة هذا الابصار على رواية اخرى ، وقد شك المؤرخون فعلا في ذلك ورجح اكثرهم انه لم يوصف بالعمى في غير الاسانيد التي نشأت بعد عصره بعشرة قرون ، ولكن الحقيقة النفسية التي قررها المؤلف لا تتوقف على رواية من هذه الروايات عن الشاعر اليوناني دون غيرها ، لانها ثابتة من مئات الحوادث التي نشاهدها اليوم في كل بيئة وفي كل عمل ، وما من « فقيه » ضرير في زماننا

الا وهو متكفل للقارىء بشاهد حي يغني عن جميع الشواهد التاريخية ، لانه لم يتعلم القراءة والكتابة ولكنه يحفظ القرآن والبردة ودلائل الخيرات وموشحات الاذكار والموالد ودعوات المواسم والمحافل ويسابق المبصرين فيكاد ان يسبقهم في ميدانها .

والوقائع او الشواهد ، تبلغ المئات خلال فصول الكتاب العشرة وتتردد في كل صفحة من صفحاته منسوبة الى مصادرها ، متبوعة بتعقيبات المؤلف عليها .

فالفصل الاول بعد التمهيد موضوعه «نسبية المعرفة» مع تقدم العلوم الانسانية على حسب العصور المتتابعة ، ويتلوه الفصل الثاني في التساؤل عن اثر التقدم العلمي في سعادة الانسان او في صلاح قواه النفسية ، ويتلوه الفصل الثالث عن الكون وعمل المدارك الانسانية في تقرير وجوده وتمحيص حقيقته ، ويتلوه الفصل الرابع عن تطور العقل الانساني وتمام هذا التطور بين الماضي والحاضر والمستقبل ، ويتلوه الفصل الخامس عن تكوين الانسان الذي جرت عليه هذه الاطوار ، ثم الفصل السادس عن موضوع يكاد ان يكون هو موضوع الكتاب كله وهو موضوع الارادة الانسانية ثم الفصل السابع عن الايمان وعمله في الارادة وعمل الارادة فيه ، ثم الفصل الثامن عن تطبيقات قوة الايمان ، ثم الفصل التاسع عن اثبات وجود الطاقة الانسانية بالطرق التجريبية العملية ، ثم الفصل العاشر وفيه شرح وافر لقانون الطاقة الانسانية ، ثم يختم الكتاب بتذييل ينتهي الى الطريق التي تمهدت للسلوك بعد كل هذه المقدمات ، وفحواه ان دراسة الطاقة الانسانية قد اسفرت عن ادراك الهدف ، وادراك الوسيلة اليه ، وادراك القدرة على تحصيله بهذه الوسيلة الناجعة ، وهي وسيلة المعرفة والايمان .

وقد استطاع المؤلف ان يقرر بالوسائل التجريبية ان الانسان لا يحلم بشيء في الخيال يعجز عن تحقيقه في صورته العملية ، وان الطاقة الانسانية تصنع المعجزات لتحقيق تلك الاحلام متى استعدت لها بعدة الارادة الصادقة ، وتمكنت من توجيه تلك الارادة الى هدفها على طريق السواء والهداية .

وللمؤلف جهد موفور في البحث عن حقيقة الطاقة النفسية : هل هي قوة قائمة بذاتها يمكن ان تنتقل من نفس الى نفس كما تنتقل قوة الحرارة من مادة الى مادة ؟ او هي قوة ايحائية يقوم تأثيرها الاكبر على الوحي الذي توحيه ارادة نفس ترسلها الى ارادة نفس تتلقاها ؟

ونمثّل للفرضين بانسان ارسل من نفسه قوة الشفاء الى نفس انسان آخر تتمنى شفاءه ، فهل يحدث الشفاء — اذا حدث — من طاقة نفسية تفعل فعلها سواء شعر المريض برغبة طبيبه او لم يشعر بها ولا بوجود ذلك الطبيب ؟ او يحدث الشفاء لان الرغبة القوية من الطبيب اوحت الى المريض بما يعزز فيه رغبته ، ويبتعث منه كوامن صحته ، ويعينه على استنهاض عزيمته ، فلا يتم الشفاء بغير هذا الايحاء ؟

ان المؤلف يميل الى الرأي الاول ويستشهد ببعض تجاربه في طفولته وفي حاضره ، فيرى انه مقتنع بأن الطاقة النفسية يمكن ان تفعل فعلها على غير علم من المستفيد بها او المصاب بضررها .

وباب الفصل بين الرأيين لا يزال مفتوحا للباحثين من اصحاب النظرة العلمية التجريبية وأصحاب النظرة الصوفية الباطنية ، ولكن المباحث النفسية في العصر الحديث تأبى ان تتجاهل النتائج العلمية التي اسفرت عنها تجارب الانسان قبل اليوم في المعمل والمعبد على السواء ، فلا يسلك الباحثون عن حقيقة الطاقة النفسية مسلكا يرفضه العالم الذي يجري تجاربه على الطاقة المادية والحركة الآلية ، ولا يحاول النفسانيون والرياضيون على النهج الحديث اقناعا للعقل والضمير بغير البرهان المفهوم الذي يوضع موضع التطبيق والتكرار ، وان كانوا — باعترافهم — لم يجاوزوا به اوائل الخطوات من عتبة الطريق الى منتصف الطريق .

ثم المدارس العصرية التي تبحث عن اسرار طاقة النفس مدرستان كبريان : احداهما اقرب الى العلم والفلسفة العقلية وهي مدرسة «البارا سيكولوجي» او علم النفس المشابه .

والاخرى اقرب الى الفن والرياضة الصوفية ، ويجوز ان تحسب من فروع «الثيو سوفية» الحديثة لانها لا تتقيد بتجربة الواقع كما تتقيد بالملهمات الوجدانية .

فعلماء «البارا سيكولوجي» يبحثون في انتقال المشاهدات والمؤثرات بغير وساطة الحواس ويقررون ان الظواهر التي جربوها لا تقبل التفسير بالفروض المعهودة ، وان الامانة العلمية تتقاضاهم ان يثابروا على تجربتهم الى ان يهتدوا الى تفسير مطابق للعلم وللواقع غير تلك الفروض المعهودة ، وهم حريصون على اجتناب الخلط بين مشاهدات النجوى على البعد او التلباثية ومشاهدات الكشف والاستجلاء او «الكلارڤيانس» ولم يمض على نشأة هذه المدرسة بجامعة ديوك ثلث قرن الى الآن ، لانها نشأت في سنة ١٩٣٠ ، ولكنها استطاعت ان تثبت وجود الصلة النفسية بغير وساطة الحواس في نسبة لا تقل عن اربعين في المائة ، ولا يتيسر تفسيرها بوسيلة من وسائل الانتقال تغني عن القول باحتمال التأثير المباشر من نفس انسانية الى اخرى ، وان تكن عوامل هذا التأثير مجهولة الى الآن .

اما المدرسة الاخرى فاعتقادها الغالب ان المادة قابلة للتأثر بالعوامل النفسية كما تتأثر بعوامل الضوء والحرارة والمغناطيسية ، او بعوامل الطاقة المادية على عمومها ، وقاعدة التفكير على هذا النحو عندهم ان الموجودات في الكون ترجع كلها الى الذرات ، وان ذرات العناصر كلها ترجع الى اشعة من النور ، وان تركيبها اشبه شيء «بالتنغيم» على النسب الموسيقية ، فمن شأن النفس التي تناسبت موسيقاها وتناسقت ملكاتها ان تنقل بوسيلة النسب الموسيقية قوة تعمل عملها في تعديل الاشعة وتقويم حركاتها ، وقد زعم الثيو سوفيون من مدرسة «أنا بيزانتي» وخلفائها ان تركيب صخور الاهرام بعضها على بعض مستحيل بغير الاعتماد على المغناطيسية النفسية الى جانب الاعتماد على الآلات ، لان وضع الصخرة على الصخرة بأحدث الآلات في العصر الحاضر لا يتأتى بغير فراغ بين الصخرتين يتسع لجسم في عرض الشعرات الحيوانية ، ولم يكن بين صخور الاهرام التي بقيت على حالها متسع لمثل ذلك الفراغ .

وسيمضي البحث على كلتا الطريقتين زمنا لا ندري مداه ، وقد يثبت وجود الطاقة النفسية مستقلة عن الايحاء او مقرونة به على درجات ، ولكن الدراسة التي تعمل الآن في توجيه الطاقة النفسية ويشرحها الاستاذ احمد حسين في كتابة لا تنتظر النتيجة ولا تتوقف عليها ، وكذلك يبحث العلماء اليوم عن الضوء هل هو موجات او ذرات ، ويقولون بأحد القولين او بالقولين معا في بعض الظواهر ، ولكن المخترعات التي تنشر الضوء وتحفظه وتتحكم في الانارة والاطفاء ماضية في تقدمها وتعميم فوائدها دون ان يعوقها عن مداها ان نحسبها بحساب الامواج او بحساب الدقائق الصغار وهي على هذا الغموض في تركيبها اجلى ما تجلوه الانظار .